http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1396) السنة السادسة - الثلاثاء (23) كانون الاول 2008

الكتاب : السلام المخزي

فرنسا..الاحتلال ..المثقفون

تأليف:فريدريك سبوت

ترجمة: ابتسام عبد الله

مسؤولية المبدعين حيال المجتمع أو عدمها تعد من الامور المهمة التي تثير النقاشات وخاصة في زمن الحروب، فقد أثقل الشاعر البريطاني الكبير و.هـ أودن باحاسيس الاحتقار حياله وكذلك كريستوفر أشيروود وذلك بسبب هروبهما من لندن الى امريكا خلال الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فأن عدداً كبيراً من الذين يتمتعون بمواهب وكفاءات مشهودة ، قد تنقصهم الجرأة او الشجاعة.

ومثل تلك المواقف برزت بشكل خاص في فرنسا خلال الحرب ومرحلة الاحتلال النازي.

ويبدأ فريدريك سبوت كتابه،(السلام المخزي)، بالحديث عن الحياة الثقافية في فرنسا بتأكيده ان باريس كانت في عام ١٩٣٩ عاصمة الثقافة في العالم في حين خسرت ذلك اللقب عام ١٩٤٥ والى الابد، وقد حدث خلال تلك المرحلة بين العامين يقدم ، كما يقول الكاتب، فشلاً أخلاقياً وابداعياً.

ففي عام ١٩٤٠ هرب ملايين من الفرنسيين نحو الجنوب من الاحتلال النازي، وقد قارن سيرج ليفار، الاوكراني الولادة ومدير فرقة الباليه الفرنسية مدينة باريس بمسرح كبير مهجور ، حيث عماله مشغولين بتغيير المشاهد إستعداداً للفصل المقبل.

وقد بدأ الهاربون في العودة الى العاصمة، ليجدوا المنتصرين الالمان راغبين لمد يد الصداقة وحجز جميع المقاعد في كل القاعات، اما السفير الالماني أوتو أبيتز كان متزوجاً من امرأة فرنسية ذي طموح ، كانت مهمتها إقناع المهزومين وخاصة المبدعين منهم، بان يتناولوا العشاء يوماً مع الالمان، وقد شكلوا حلقة حول مقهى الفلور ، واخبر الفنان الفرنسي الشهير رفيقه فرانسواز جيلو ، أنا لا اتطلع الى المخاطر، ولكنني بطريقة سلبية لا اهتم بالخضوع للقوة او الارهاب اريد البقاء هنا لأنني هنا، القوة الوحيدة التي ترغمني على الرحيل ستكون الرغبة في مغادرة البلاد، البقاء في الحقيقية ليس دليل الشجاعة انه فقط شكل للجمود.

اما ما تيس الذي كان يعيش وقتئذ في البندقية، فقد اصبح مشغولاً بعمله لا بالحرب، وكما يصفه المؤلف: انه اعمى بالنسبة للموضوع الاخلاقي، جان كوكتو ، كان على النقيض ، يتحدى بسخرية الاحتلال وعندما انتحر اشهر اطباء الاعصاب بعد سقوط باريس عام ١٩٤٠ قال كوكتو، اجد هذه الايام مثيرة ، من المؤسف ان الطبيب كان يفتقد الى الفضول ، اما ساشا غيتري فقد افاد آنذاك من احتلال الفنانين والمثقفين ، ان الحياة قد تكون رائعة في الامبراطورية النازية، وسرعان ما ازدهرت قاعات الرسم والمسارح والملاهي وكان موريس شيفاليه وجورج سيمينون والممثل والكاتب المسرحي ساشا غيتري وامثالهم يتوددون الى المحتلين ويقول، مالك ملهى شهير آنذاك،» اني اخجل ان أقول أني لم اشهد في حياتي تسلية أو متعة افضل ما كان انذاك». كما ان اصحاب دور النشر جلبوا العار لانفسهم بالموافقة على طلب النازيين بترجمة ونشر الاعمال الادبية الالمانية وكانت بعض فصول تلك الكتب تحمل عناوين مثل: أوه ما أجملها من حرب ! أو تلقيت رفسة منك، ويقول المؤلف في كتابه ان من بين اولئك الاسماء ، الفريد فيبرلوك ، الذي تعاون مع المحتلين ونشر عن بريطانيا ما معناه انهم دفعوا فرنسا الى الحرب ولم يتقدموا خلفهم اليها، اما رقابة حكومة فيش الفرنسية، فكانت من تلك التي فرضها السفير الالماني تفتش في نصوص المسرحيات عما يسيئ الى المحتل أو النازيين ، بل انها منعت نشر كتاب جديد عن نابليون يتناول حملته على روسيا عام ١٨١٢ ، خوفاً من إثارة مشاعر الالمان. وفي تلك المرحلة ايضاً تعاون عدد كبير من المحررين والصحفيين مع النازيين في الاقل لتأمين معيشتهم ، وعلى أي حال فان كاتب فرنسا الاشهر ، اندريه جيد ، لم ينشر أي شيء تقريباً خلال اعوام الحرب كيلا يقال انه يمارس عملعه كالمعتاد ، وعلى الرغم من رفض جيد للمقاومة العنيفة ، فانه لم يخف كرهه للالمان قط.

وكان بيكاوسو مثل جيد، وشهرته الكبيرة حفظته من المطاردة خلفه، وهو وعدد آخر كانوا ضد النازيين ومنهم جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار ، لم يحصل على الوقود والبنزين ولم يصادر بيته في العاصمة او منزله الريفي، وعاش برخاء طوال مرحلة الاحتلال.

مع ذلك كان هناك أناس محترمون وشرفاء ،المثل جان غابان ، عاد من الامان الذي كان فيه في أمريكا ، الى فرنسا وليعمل مع كتيبة دبابات عام ١٩٤٤ ، اما الكونتيسة ليلي باستري فقد خصصت قصرها خارج مارسيليا للاجئين.

ولكن الاعمال الجيدة قليلة في كتاب سبوت ، اذ ان معظمه مخصص للخيانات في الاوساط الثقافية.

وبعد تحرير فرنسا من الالمان، حوكم بعض من الفنانين لتعاونهم مع الاحتلال، وبعضهم قتل نفسه أو عاش مهاجراً في الخارج.

عن الغارديان

الكتاب :من يمتلك القمر

قانون قمري لملكية العقارات

تاليف :فيرغيليو بوب

ترجمة:علاء خالد غزالة

بعد ما يقرب من اربعين عاما منذ ان غرست الولايات المتحدة علمها على القمر، وفي خضم التزاحم العالمي على رسم احتى ود النهائية، لابد من مناقشة حقوق الملكية الفضائية.

تمتلك كل من الهند واليابان والصين مركبات فضائية تدور حول القمر، على ان يلتحق بها المستكشف القمري المداري الذي سترسله وكالة الفضاء الاميركية (ناسا) في العام القادم. كما اعلنت (غوغل) عن جائزة بقيمة ٣٠ مليون دولار لاول فريق ممول من القطاع الخاص يتمكن من ارسال انسان آلي الى القمر بحيث يسير مسافة ٥٠٠ متر ويرسل خلال ذلك صورا ولقطات فيديوية الى الارض.

لكن المتخصصين القانونيين يرون قصورا في هذا الامر.

العقارات الفضائية

عادة ما يتم اعداد القوانين بناء على السوابق. وبما ان هناك القليل من السوابق فيما يخص (القانون القمري) فان البعض ينظر الى البحر من اجل ايجاد اقتراحات. والمقصود بذلك قانون استغلال المعادن الموجودة في قاع المحيطات وخارج المياه الاقليمية للدول. قام البعض بتصنيف مثل هذه الموارد القيمة على انها تراث بشري مشترك، وليست ملكا الى الدولة التي تعثر عليها.

فهل يمكن لمبدأ التراث المشترك ان يوفر ارضية لـ(معاهدة القمر)؟

يعمل فيرغيليو بوب كباحث متخصص في وكالة الفضاء الرومانية. وقد تابع على مدى سنوات عدة القضية القانونية المتعلقة بحقوق الملكية في الفضاء. وقد اصدر كتابا جديدا هذا العام حمل عنوان: «من يمتلك القمر؟ المظاهر الفضائية لملكية الارض والموارد المعدنية».

وقد تعمق بوب في كيفية تشكيل القانون المتعلق بالملكية العقارية في الفضاء، وبعض الاعراف التي تعبر عن هذا القانون. وهو يرى ان الاعراف والقواعد التي تتعلق بحقوق الملكية السموية محدودة للغاية، حتى انها تفشل في تعريف ما المقصود بالجرم السماوي؟.

يفضل بوب حقوق الملكية على العناق الجماعي. ويقول: «على الرغم من الافكار النبيلة مثل المساواة والعناية بالناس المفلسين، الا ان فرضية معاهدة التراث المشترك للقمر تحمل مساويء اكثر من الحسنات. على ان رفض هذا المبدأ لا يعني باي حال ان الاقطار النامية سوف تترك للتخلف عن عصر الفضاء. فالصين والهند والبرازيل هي امثلة حية على ان البلدان النامية تستطيع ان تلتحق بالنادي الفضائي من خلال جهودها الذاتية. اذ يجب ان تتوحد الدول ذات الموارد الاقل تحت مظلة وكالة فضاء عالمية او حتى اقليمية، ومن ثم تعمد الى استغلال الثروات التي يزخر بها الفضاء الخارجي لصالحها، عوضا عن الاستخدام المجاني للجهود التي بذلتها الدول الاقدم في مجال الفضاء».

فرضية احتى ود الدولية

يضيف بوب ان فرضية احتى ود الدولية قد اثبتت صحتها على كوكبنا، وان من الارجح انها ستكون كذلك فيما يخص المملكة الفضائية.

ويستطرد قائلا: «سوف يعمل الاكتفاء الذاتي على تحويل الصحراء القمرية بنفس الطريقة التي حول بها الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر. الفضاء هو حقا منطقة حتى ود جديدة فردية لا شمولية، ويتوجب مناقشة التحديات ضمن نظام قانوني يعنى بحقوق الملكية».

لكن يبقى الكثير لمناقشته وربما اقراره بين الدول المختلفة، بالطبع، عندما يأخذ قانون الفضاء بالتطور مع الزمن.

يقول بوب: «ان حقوق الملكية الفردية هي ماكنة جيدة، ومن الارجح انها ستعمل على دفع وتطوير المملكة الفضائية. ان تأمين حقوق الملكية الفردية سوف يكون اكثر فائدة للجنس البشري من البديل الاخر المتمثل في ابقاء امبراطوريات الفضاء متخلفة».

كرة من الكونكريت

يشعر بوب ان الاحيال الجديد لخصخصة مشاريع الفضاء، والتخطيط للعودة الى ارسال البشر الى القمر، سوف يصرف موضوع حقوق الملكية في الفضاء الخارجي «من حقل النقاشات البيزنطية (أي مناقشة القضايا السخيفة والتي عفَ عليها الزمن) الى كرة الكونكريت (أي قضية مرعبة جدا)».

وفيما وراء القمر، يتعمق بوب في كتابه في البحث فيما اذا كانت الكويكبات والمذنبات مشابهة للاقطاعيات التي لايمكن التعدي عليها بموجب القانون، ام انها «بضائع متحركة وعائمة»، يحق لاي كان ان يقتنصها ويحولها الى ملكيته؟»

واخيرا، يقدم بوب اقتراحا يستعطف فيه الدول لتدخل عصر الفضاء: «يا دول العالم اتحدوا، ليس لديكم ما تخسروه سوى سلاسل الجاذبية.. فالسماوات مفتوحة امامكم».

عن موقع/ سبيس

الكتاب :الجزار والمزلاج

مئتا سنة من الالتزام في افغانستان

تاليف : ديفيد ليون

ترجمة: هاجر العاني

أخبرت دبلوماسياً امريكياً في كابل الشهر الماضي بأن البريطانيين غير مقتنعين بأن السياسة الامريكية في أفغانستان معقولة او ان الحكومة الافغانية الحالية قابلة للبقاء ، فأجابني الامريكي بعصبية « على اعتبار سجل الالتزام البريطاني في هذه المنطقة طوال القرنين المنصرمين لا أظن انكم في موضع اعطاء أي شخص آخر محاضرات عن كيفية التعامل مع الامور هنا ».

أمر مؤثر ، حتى في أوج الامبريالية البريطانية عندما كان الحكام الفيكتوريون يفتخرون بقدرتهم على فرض النظام على الرعايا الاكثر بعداً عن الاحتمال – الدراويش والزولو بارزون من بينهم – فإنهم أخفقوا مع أفغانستان ، وعندما تولى عبد الرحمن المنصب كأمير عام ١٨٨١ فقد كتب :» البلد في حالة بائسة ، وكل شئ تابع للدولة مخرَّب ويحتاج الى تجديد ، والناس هنا هم الاكثر تمرداً وعناداً وهم يلتهمون كل ما يمكنهم التهامه» ، وتبقى صورته عن أفغانستان بلا تغيير في القرن الحادي والعشرين.

وقد أُعجب البريطانيون اعجاباً معاكساً بروح المحارب والاستقلال القوي لأهالي القبائل هؤلاء منذ زيارة المبعوث البريطاني الاول وهو مسؤول سياسي إسمه [مونتستوارت إلفنستون] (زيارته) لكابل عام ١٨٠٨ ، وقد بددت الحكومات في لندن ودلهي الكثير من القرن التالي وهي تتجادل حول ماهية أفضل السبل لمعاملة ما رأوه كنطاق حماية حيوية بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية ، وقد طالب بالحاح بعض الحكام ونوابهم بالضم او في الاقل بحضور جازم – ما يسمى بـ» السياسة السابقة للاحداث «– فيما دعم آخرون الحذر الشديد بخصوص المغامرة بالقوة الى ما وراء الشعاب التي تفصل افغانستان عما كان في حينها الهند ، لقد قدموا الرشاوى الى زعماء القبائل لينكروا بالقسم عاداتهم في شن الغارات وأرسلوا بعثات تأديبية لحرق القرى واحتجاز الرهائن عندما تفجر العنف – ستراتيجية « الجزار والمزلاج» .

و[ديفيد ليون] هو مراسل خارجي بارز يعرف افغانستان بشكل مفصل ، وكتابه يقدم موجزاً تاريخياً باهراً لتجربة البلد بين عام ١٨٠٨ والوقت الحاضر ، ولم يتغير لا شعبه ولا الاخطاء التي ارتكبها الاجانب المتطفلون تغيراً كبيراً في تلك الفترة ، ففي عام ١٨٣٨ عندما ارسل البريطانيون لاول مرة جيشاً الى البلد لفرض حاكم من اختيارهم وهو [شاه شوجا] الاول تم افتراض البعثة على انها البعثة «الممتعة» المقبولة والجسورة المعتادة ، وأخذ فوج واحد قطيعه من الكلاب الضخمة الصائدة للثعالب ، وقد أطرت وسائل الاعلام بشكل حماسي الالتزام بصفته وسيلة لإحباط الدب الدكتاتوري ، وأزبدت صحيفة التايمز لتقول « كان الشيطان الروسي يلازم الجنس البشري يعكر صفوه ».

الكارثة الاشاعة في قندهار

وما تبع ذلك اصبح واحداً من أردأ حالات الاذلال سمعةً لتصيب الامبراطورية البريطانية مع تدمير بقايا الجيش المنسحب في غانداماك عام ١٨٤٢ ووفاة اغلب المسؤولين الكبار المعنيين ، وبعد ذلك ولعدة عقود اتبع البريطانيون سياسة كل من الدبلوماسية واعطاء الرشوة لابقاء الحدود هادئة ، واعتقد كل من الطرفين ان الآخر منافق – الافغان لان البريطانيين كثيراً ما نكثوا بعهودهم الخاصة بالالتزامات المالية والبريطانيون لان الافغان استأنفوا الصراع المحلي كلما لاءمهم ذلك.

وفي عام ١٨٧٨ بدأت حرب أفغانية ثانية عقب الرفض المحلي لقبول المبعوث البريطاني الجديد وهذا صنع السمعة العسكرية لـ[روبرت] (اصبح لورد روبرت الخاص بقندهار) ولكن لم يغير شيئاً ، واكتشف البريطانيون حقيقة تاريخية باقية مفادها ان الانتصار في المعارك كان بلا معنى ما دام المجتمع الافغاني ممزقاً ومدمناً على الحروب اكثر مما ينبغي بالنسبة للالتزام بأية تسوية .

وفي عام ١٨٩٣ توصل السير [هنري دوراند]وزير الخارجية الهندي الى عقد معاهدة مع الامير لتقسيم وزيرستان ، ولم يلاحظ سكان المنطقة الا القليل بخصوص هذه الحدود منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا ، وتجادل مسؤول كبير هو السير [دينس فتزباتريك] ضد أية محاولة أخرى لفرض الارادة الاستبدادية بقوة السلاح « لتولي مهمة هائلة كتلك الخاصةبترسيخ فترة سلام تحت حكم الامبراطورية البريطانية عموماً في أرجاء منطقة وزير [أي وزيرستان]».

وفي أغلب الاحوال تم قبول هذه الفكرة ، ولكن عندما بدأ الجهاديون الافغان بعمليات هجومية داخل شمال غربي الهند – باكستان الحديثة – عام ١٩١٩ وجد البريطانيون أنفسهم مشاركين في حرب جديدة سواءً رضوا ام أبوا ، واستمرت العمليات المتقطعة على الحدود لفترة طويلة بين الحربين العالميتين . وفي عام ١٩٣٣ اصبح [زاهر شاه] البالغ من العمر (١٩) عاماً حاكماً وترأس اكثر من (٤٠) عاماً من الهدوء النسبي ، وتغاضى [ليون] عن هذه الفترة في كتابه ومع ذلك يبدو الامر جديراً بالدراسة الخاصة بالعلماء لاكتشاف الكيفية التي تم بها انجاز معجزة كهذه ، وبعد وفاة [زاهر] اندلع اضطراب جديد ، واستولى نظام شيوعي على السلطة ، وفي عام ١٩٧٩ غزا الروس البلد لدعم نظام كابل المتهاوي الذي كان قد أصبح زبونه ولإنهاء عدم الاستقرار على جبهتهم ، وكمثل كل مؤيد أجنبي آخر لسياسة التدخل افترضت موسكو في البداية بأن بقاء جنودها سيكون قصير الامد ، ومع ذلك ففي العقد التالي شن (١٠٠) ألف جندي روسي حملة قاتلة والتي لقي فيها (١ر٥) مليون افغاني حتفهم وتم تدمير البلاد وأخفق الغزاة اخفاقاً مخزياً في فرض ارادتهم .

وخلال هذه الفترة كما يصف [ليون] بشكل واضح تم ارتكاب اخطاء السياسة الخارجية الغربية الشديدة وفهم [رونالد ريغان] و[مارغريت تاتشر] افغانستان فقط من خلال موشور حرب باردة ، وسعيا الى استغلال الصعوبات السوفيتية والى مساعدة اعداء روسيا ، وبتقديم العون الى المتمردين المجاهدين ساعدا على زعزعة باكستان وغذيا القتال الاسلامي عبر المنطقة ، وشهدت سنوات حرب المجاهدين نمواً مفاجئاً وسريعاً للمدارس المتطرفة في باكستان والتي أصبح تأثيرها واضحاً بشكل مريع اليوم .

وكان عضو كونغرس من تكساس هو [تشارلي ولسون] يدير التأثير الغربي بشكل هو الاكثر تهوراً، فقد زار المنطقة عام ١٩٨٢ ووقع في غرام المجاهدين بصفتهم خصوماً رومانسيين للامبراطورية السوفيتية الشريرة ، وكعضو في اللجان الفرعية لتخصيصات الدفاع كان [ولسون] قادراً على الحصول على زيادات هائلة في الاعانة الامريكية ، وكان اكثر انجازاته الباعثة على الفخر هو تشجيع شحن صواريخ ستينغر المضادة للطائرات التي يتم تشغيلها يدوياً الى المتمردين والتي أطلقوها على (٢٠٠) طائرة ومروحية روسية في العام الاول من انتشار القوات الروسية ، و[ولسون] الذي صوَّر شخصيته الممثل [توم هانكس] في هيئة بطولية في فلم هوليوودي جديد [تشارلي ولسونز وور – حرب تشارلي ولسون] كان من نوع الاجانب المتخبطين الذي اعطى لتكساس صيتاً سيئاً ، وقد ساعده في حماقاته المتطرفون اليمينيون بالتأثير في [تاتشر] ، وساهمت افعاله فعلياً بالفوضى الفظيعة الحاصلة في المنطقة اليوم .

وللتأكد من ذلك ، في عام ١٩٨٩ كان الروس مكرهين على الخروج من افغانستان يغلفهم الخوف ، ولكن في عام ١٩٩٦ وبعد نضال ضروس بين القبائل المنتصرة ظهر طالبان الاسلاميون المتطرفون بصفة حكام البلاد ، وكانت الحكومة الامريكية حانقة بشدة جراء هذا التحول في الاحداث بحيث انها رفضت الاعتراف بالنظام الجديد.

وكان نظام طالبان الشبيه بانظمة القرون الوسطى ضعيفاً الى حد اكبر من ان يقاوم هجوم عام ٢٠٠١ الذي دعمه الغرب ، وعقب سقوط النظام يكتب المؤلف « نافذة فريدة على الفرص – عندما كانت هناك حماسة للمجتمع الدولي لتحقيق النجاح – انغلقت بسرعة «، واليوم فإن الواقع الكليل والمشكلة الرئيسية في افغانستان هي ان أغلب شعبها يعتقدون بأنهم كانوا في حال أفضل تحت حكم طالبان مما هم تحت حكم الرئيس [حامد قرضاي] . وقد قال رجل اعمال افغاني لي الشهر الماضي :» السنوات السبعة المنصرمة من الديمقراطية « – وقد استخدم الكلمة بسخرية – « كانت كارثة بالنسبة لنا « ، ولم تكن افغانستان يوماً دولة موحدة ولكنها دائماً عبارة عن خليط من المصالح والولاءات والقبائل والجماعات المتغيرة باستمرار ، وثمة فهم ضئيل للعالم الحديث او ميل ضئيل للمشاركة فيه ، اما الطبقة الوسطى وكما هو حالها دائماً فقد تخلت الى حد كبير عن منزلتها الاجتماعية ، ويوجد نقص منذر بكارثة وربما لا سبيل لمقاومته في الافغانيين المؤهلين لادارة البلاد بشكل فعلي بغض النظر عن ادارتها بأمانة ، واليوم وفيما يخص الـ (٢٠٠) سنة المنصرمة فإن العمليات العسكرية البريطانية والامريكية ناجحة نجاحاً معتدلاً ضمن نطاق القوات المتواضعة المتوفرة ، الا ان النجاحات تكون بلا معنى عندما تكون هناك اطراف عديدة بحيث ان القوة العسكرية الغربية – ولاجل عكس الاعلان الغربي– لا تستطيع الوصول الى النجاح.

ويدرك تقريباً كل أجنبي مَعني بافغانستان – ما عدا الرئيس بوش– (يدرك) هذه الحقائق والاخطاء الماضية ، والسؤال يكمن فيما اذا كان لدى الغرب فرصة ثانية وفيما اذا كان من الممكن في هذه المرحلة المتأخرة تغيير السياسة وتحويل الخرائب الحالية الى نتيجة ما يمكن احتمالها . انه امر قابل للنقاش الى حد كبير ، وانا احد اولئك الذين يؤمنون بأننا ينبغي ان نواصل المحاولة في عموم المنطقة – وخطر باكستان حتى اكثر خطورة واصعب معالجةً – وفي اقل القليل ينبغي ان نغدق الكثير من الاموال الاضافية اذا كان بالامكان الاحتفاظ بها بعيداً عن الحسابات المصرفية السويسرية ، غير انه سيكون من الساذج الاقتراح بأن الاحتمالات تدعم النجاح ، وكتاب [ليون] الرائد الممتاز يشرح السبب ويجب وضعه خلسة في جورب الرئيس اوباما الخاص بهدايا اعياد الميلاد .

عن الصانداي تايمز

الكتاب :تدهور وسقوط الامبراطورية البريطانية

الوصول إلى بريطانيا الصغرى الآن !

تاليف : بيرز بريندون

ترجمة : عادل العامل

في عام ١٧٦٤ ، جلس إدوارد غيبون « مستغرقاً في التفكير وسط خرائب الكابيتول « في روما ، و في ذلك المكان ، كانت كتابته هذا المقطع الأسر ، « بينما كان الرهبان الحفاة يرتّلون صلاة الغروب في معبد جوبيتر، خطرت لي للمرة الأولى فكرة الكتابة عن تدهور و سقوط المدينة « . إن دار البرلمان ليست خراباً حتى الآن ، لكن فكرة كتابة « تدهور و سقوط الامبراطورية البريطانية « ، كما فعل بيرز بريندون الآن ، أمرٌ يتّسم بالإغراء تماماً ، وفقاً لجيبوفري ويتكروفت كاتب هذا المقال .

و علاقة كتاب غيبون العظيم بكتابه هو تتمثل في أن الامبراطورية البريطانية بناها و حماها إلى حد كبير رجال كانوا متعمّقين في الأعمال الكلاسيكية و رأوا أنفسهم بصورة واعية ورَثَة تقليد إمبراطوري مبكر . و لم تكن هناك حاجة إلى إنكليز القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ليسألوا أنفسهم « هل نحن روما Rome ؟ " ، و هو عنوان كتاب كولن مورفي الأخير عن أمريكا احتى يثة . فقد كانوا يعتقدون بأنهم رومان ، و كانوا فخورين بذلك ـ رغم أنهم كانوا قلقين كذلك من اتباع المنحدَر نفسه . و سوف يقوم موظفو الراج Raj (أي الحكم البريطاني في الهند) المتعاملون مع (احتى ود الشمالية الغربية) بمناقشة دروس سياسة احتى ود الرومانية مع أستاذ أوكسفوردي ، « تنتابه الهواجس « ، كما كتب مؤرخ ، « خشيةَ أن تكرر نفسها تراجيديا الأمبراطورية الرومانية ، التي كبرت عظائمها على حساب ذاكرتها .

و يمكن للمرء أن يؤرخ بدقة القصة الكاملة عن الإمبراطورية البريطانية على امتداد ٥٠٠ سنة بالضبط ، من عام ١٤٩٧ حين وضع جون كابوت قدمه على نيوفاوندلاند باسم الملك هنري السابع إلى إنزال علم الاتحاد في هونغ كونغ في عام ١٩٩٧. لكن بريندون يبدأ « تدهوره « في عام ١٧٨١ ، حين استسلم لورد كورنواليس لجورج واشنطن . و قبلها بوقت قصير ، رفض غيبون نفسه دعوة لتناول العشاء مع بنيامين فرانكلن في باريس نظراً لكونه يمثل بلداً عدوّاً . و قد ردَّ فرانكلن بلطف أنه « سيوفر المواد لكاتب ممتاز هكذا لكتابه ، تدهور و سقُوط الامبراطورية البريطَانية ، « و هكذا ، فإن الفكرة ليست بجديدة .

و قد ازدهرت الأمور بعد الحروب النابليونية حين توسعت الامبراطورية مرةً أخرى . و كانت المملكة المتنامية في الهند مغامرة مشتركة ، يديرها « جون شركة Company John" ، كما كانت شركة الهند الشرقية تُعرَف ، إلى ما لم يعد الهنود يدعونه بالتمرد الهندي ، الذي أخمده البريطانيون بوحشية مخيفة ، مثيرين بذلك ليس للمرة الأولى السؤال عمَّن كانوا « المتوحشين « و مَن المتمدّنين . و بالرغم من الوقائع الكئيبة التي يسردها المؤلف ، فإن هناك استطرادات مسلّية تبعث الحيوية في القصة . و أحد الاستطرادات الأكثر إثارةً للفضول هو ارتفاع الشارب البريطاني و سقوطه ، الذي يرى بريندون أنه كان « ذا حدود مشتركة مع الراج « . فالانكليز بدأوا يربّون شواربهم في الهند و أصبحت إلزامية بالنسبة لضباط الجيش حتى الحرب العالمية الأولى . و يمكن القول في هذا الإطار ، إن رئيسي الوزراء المشوربين منذ عام ١٩٤٥ كانا ضابطي مشاة سابقين ، لكن لم يكن هناك أحد منهم لـ ٤٥ سنة مضت حتى الآن (و لو أن توني بلير قد اتخذ له شارباً حين كان أصغر) !

و عندما نمت الامبراطورية في عهد الملكة فكتوريا ، كان هناك تأثير خشن واضح في الحكام ، لم يلطّفه الدين الإنجيلي كثيراً ، كما يُدّعى أحياناً . لكن كان هناك على الدوام منتقدون للامبراطورية أيضاً . و كان إلغاء الرق قضية شعبية حقيقية ، و قد تساءل جون برايت في حينها عن أي حق يمتلكه مواطنوه في أن يتوقعوا إخلاصاً من الهنود الذين سلب أراضيهم الغزاة ، و أفزع الملكة نفسها الأذى غير المسيحي الذي اقترن بإخماد التمرد .

و على أية حال ، كانت هنك وفرة من من الكوارث إضافةً للانتصارات بالنسبة لهؤلاء الرومان الجدد ، فبعد أن قام غوغاء بتقطيع مبعوث كابول إلى أجزاء ، شُنّت حملة تأديبية في أفغانستان في عام ١٨٤٢ وجرى تدميرها إلى آخر إنسان تقريباً . بل و لم تشكل هذه كثيراً صدمةً كما شكلت حرب البوير ، التي دشّن مراحلها الأولية في عام ١٨٩٩ تعاقب مخجل من الهزائم البريطانية . و قد أثارت حرب البوير تساؤلاً عما إذا كان الأمريكان كانت لهم أية أغراض أخلاقية بقدر ما كان للامبراطورية البريطانية (ورأى البعض توازياتٍ في حرب فيتنام).

و مهما كان الأمر ، فإن الامبراطورية البريطانية بلغت أوجها بعد حرب عظمى كسبتها في عام ١٩١٨ ، و بدأ تقطيع أوصالها بعد حربٍ أخرى انتهت في عام ١٩٤٥ . و قد قال تشرشل خلال الحربِ الثانية إنه لم يُصبح رئيساً لوزراء الملك من أجل أن يشرف على تصفية الامبراطورية البريطانية ، لكن ذلك كان بمعنى من المعاني نتيجةً لانتصاره.

عن The New york Times /